

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(110) الغلام، فأنكرت ذلك لأنها لم يمسهها بشر ولم تك بغياً، وهنا يتجلى البعد الإعجازي الجديد، في بيان هوان الأمر على الله، وفي جعله آية للعالمين: (قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَآنْتَدَيْذَت بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَايْتَنِي مِتَّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّ نَسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَئِنِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَايِكَ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلْ مِنِّي وَاشْرَبْ مِنِّي وَقُرْ لِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّ نَبِيًّا نَّذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَن أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا *) (1). فالأمر هين على الله ليجعل عيسى آية للناس ورحمة، وكان ذلك أمراً إلهياً تكوينياً، فحملته وإبتعدت به، فأجاءها المخاض مباشرة إلى جذع النخلة، وتحسست بفداحة ما حملت به، فتمنت الموت فنادها الملك أو عيسى ألا تحزني، وتحدث إليها، وأمرها بهز الجذع فتساقط الرطب، وأمرت بالأكل والشرب وقره العين، وأن تقول لمن تراه من الناس أني نذرت صوم الصمت، وإنتهى هذا الفصل، وقد ولد عيسى دون أب، وكان حقيقة واقعة لا تجحد، وتختتم القصة بمثلها أمام قومها، ليتجلى المحور الإعجازي لهم، ويخشعوا صامتين، وهكذا كان، قال تعالى: (فَأُتَتْ بِهِ قَوْمُهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتِ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا *) قَالَ إِنَّ نَبِيَّ عَبْدُ اللَّهِ اتَّخَذَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِّي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا *) (2). ويستخلص من هذا أن مريم حينما جاءت به قومها، جوبهت مباشرة بالاستنكار الشديد، وهذا ديدن الناس في إستعجال الأمر وقالة السوء، وقلق الوضين، فأشارت إليه بحرارة وعزم وإصرار، فأستغربوا إشارتها وعجبوا لها، وصرخوا بفظاعة تكليم الطفل في مهده، وهنا تبدو الآية الالهية الناطقة، لتحسم الأمر في حركة إرادية غير متوقعة وليست بالحسبان، قال إني عبد الله، _____ (1)

مريم: 21 - 26. (2) مريم: 27 - 33.

